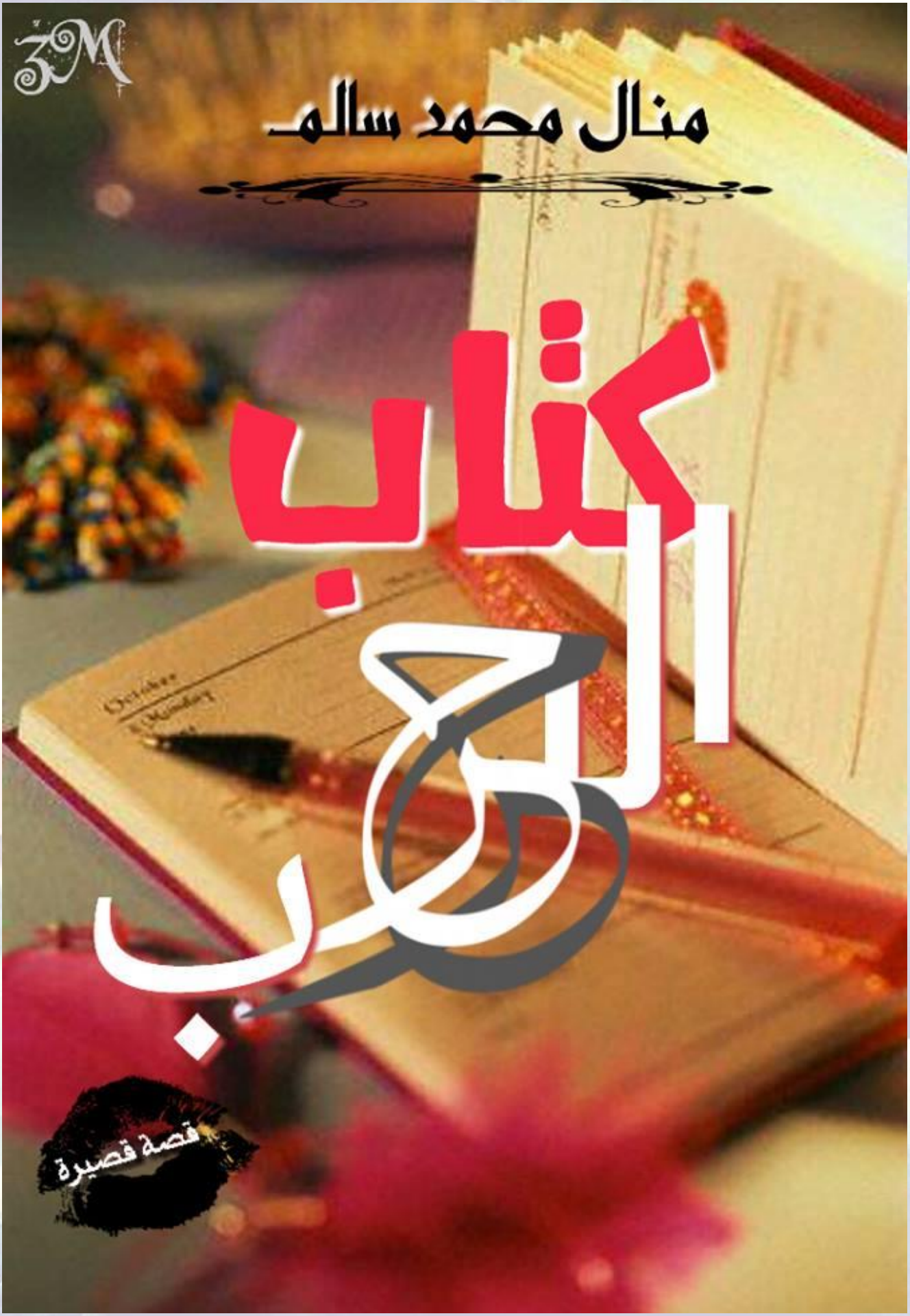
منال محمد سالم
كتاب الحب
قصة قصيرة

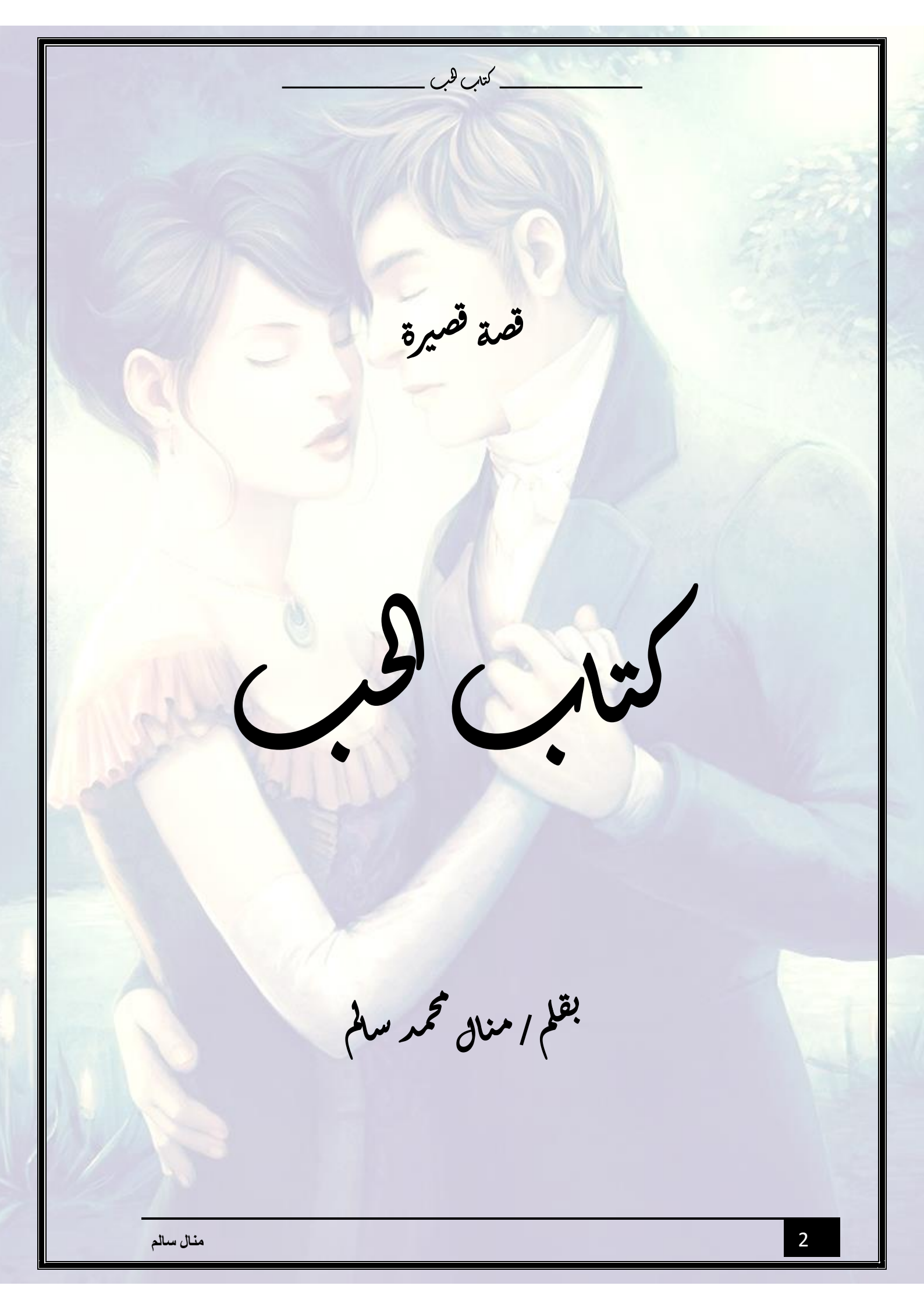

قصة قصيرة

كتاب الحب

بقلم / منال محمد سالم

قصيدة كتاب الحب

يا رب قلبي لم يعد كافيا
لأن من أحبها تعادل الدنيا
فضع بصدري واحدا غيره
يكون في مساحة الدنيا

حبك يا عميقة العينين
تطرف تصوف عبادة
حبك مثل الموت والولادة
صعب بأن يعاد مرتين

عدي على اصابع اليدين ما يأتي
فأولاً حبيبتي أنت وثانياً حبيبتي أنت
وثامناً وتاسعاً وعاشراً حبيبتي أنت

دعي نظراتك الحمراء تقتلني
ولا تكوني معي يأسا ولا أملا
وقاوميني بما أوتيتِ من حيل
اذا أتيتك كالبركان مشتعلا

أحلى الشفاه التي تعصي
وأسوأها تلك الشفاه التي
دوما تقول بلى
كرمال هذا الوجه والعينين
قد زارها الربيع مرتين

الفصل الأول :

توقفت السيارة بعد رحلة طويلة أمام إحدى محطات الوقود لتُعيد تعبئة خزان السيارة بالبنزين .. فنظر رائد من نافذة السيارة ـ ذات الموديل القديم – المجاورة له ليجد أمام ناظريه مروجاً خضراء منحدرة من تلك الجبال الشامخة التي تُحيط بتلك المنطقة النائية ، وها هي الغيوم تحاول أن تحجب أشعة الشمس المتبقية من هذا الصباح البارد ..

مـــال رائد بجسده قليلاً على ذلك الشخص الكهل الجالس بجواره ليسأله عن المسافة المتبقية لتلك البلدة البعيدة التي سيتوجه إليها ، فأخبره ذلك الكهل بأنه لم يتبقى سوى بضعة أميـــال ..

تنهد رائد في تعب وإرهـــاق ، فقد تيبست عضلاته من كثرة الجلوس دون حراك على المقعد الخلفي لفترة طويلة .. فتح أحد الركاب باب السيارة فتسربت بضعة نسمات هواء باردة ، فجعلت أوصـــال رائد ترتعد ، فقام بإحكام إغلاق معطفه الأسود الثقيل ، ثم لف جيداً حول عنقه ذلك الوشـــاح الرمادي الداكن ليمده ببعض الدفء ..

انتهى السائق من تعبئة السيارة بالوقود ، ثم عـــاد مجدداً ليجلس خلف عجلة القيادة ، ومن ثم أدار المحرك ، وبدأ ينطلق بالسيارة بسرعة أكبر .. وبعد أكثر من ثلاث ساعات وصل رائد إلى وجهته .. كانت الشمس قد غابت تقريباً ، وبدأ الظلام في الحلول ..

ترجل رائد من السيارة وهو ممسك بحقيبة سفر جلدية صغيرة من اللون البني (الماهوجني) ثم نظر أمامه يتأمل تلك البلدة الهادئة في كل شيء حتى في إضاءتها الليلية ، ســـار رائد على الطريق الأسفلتي بخطوات ثابتة ، وهو ممعن النظر فيما يوجد حوله ، لقد كانت البلدة تشبه في طرازها وتصميمها العام الطابع الأربعيني .. فالمحـــال شبه هادئة وخاوية من روادها ، والمنازل عتيقة الطراز ومبنية من الطوب الأحمـــر ، وهناك

مطعم وحيد مازال به بعض الأفراد ، ومدون على لافتته العلوية أنه مفتوح طوال اليوم ، لذا فسر سبب تواجد الناس به ..

جـــاب رائد ببصره تلك اللافتات المتدلية من بعض المحال والمتناثرة على الطريق حتى قرأ عنوان المكان الذي ينشده .. فتنهد في تعب ، ثم أكمل سيره للأمـــام ..

رائد خلدون هو أستاذ جامعي متخصص في دراسة الأدب الانجليزي – في منتصف الثلاثينات من عمره – انتقل حديثاً للعمل في تلك البلدة البعيدة والنائية لتدريس الطلاب المنتسبين هناك إلى فرع الجامعة المتواضع و الموجود بتلك البلدة .. يتميز رائد بأنه ذو ملامح شرقية هادئة ، وبشرة قمحية فاتحة ، وهو أيضاً مُطلق للحيته وشاربه .. أما عيناه فهما رماديتين داكنتين ، وشعره قصير ويميل للنعومة .. كما يتميز أيضاً بأنه فاره الطول ، وعريض المنكبين ، جسده ليس بالرياضي ، ولكنه مشدود ومحدد تفاصيله ..

لم يتخيل رائد يوماً أنه سيعمل في مكان هاديء كهذا ، فهو أشبه بالريف المتحضر الذي يبعث الهدوء والسكينة على النفس ، كما أن أهل تلك البلدة يتميزون بالطيبة والبساطة .. وطموحهم ليست بالكبيرة – على حد علمه ..

لقد كانت حياة رائد خاوية ، ليس بها أي شيء مثير ، فقد قضى معظم حياته ما بين الدراسة والعمل ، ولم يكن هناك مكاناً للحب في حياته ، وكلما تقربت منه امرأة ما ، ابتعد عنها لأنها لم تجعله يشعر بالحياة ..

لقد كان رائد دائم البحث عمن تأجج مشاعره الكامنة ، عمن تشعل شعلة الحب الخامد في قلبه ، بلى لقد قرأ عن ذلك الحب الجارف في كتبه .. ولكن للأسف من قابلهن كانت بهن جميع الخصال التي يتمناها الرجل إلا ذلك الحب الذي ينشده ..

زفـــر رائد بعمق قبل أن يغير مساره ويتجه ناحية مبنى الجامعة الوحيد الموجود في طرف البلدة .. كانت الأجواء هادئة حول ذلك المبنى ذو اللون الطوبي القديم على الرغم من وجود عدد محدود من بعض الطلبة ..

ســـار رائد في اتجاه مدخل المبنى الجامعي ، وصعد على الدرجات الرخامية ذات اللون الفاتح ، ثم توجه ناحية مكتب السكرتارية الملحق بالطابق الأول ..

مد رائد يده في داخل جيب معطفه ، ثم أخرج منه كارتاً صغيراً مدون عليه اسمه ..

أمسكت السكرتيرة بالكارت ، وابتسمت في هدوء مصطنع له وهي تقرأ البيانات المدونة فيه ، وأشارت له بيده لكي يجلس ، فاستدار رائد بجسده ، ونظر إلى حيث أشارت السكرتيرة ، ثم اتجه إلى تلك الأريكة الجلدية السوداء والعريضة ، وجلس عليها ، وأسند إلى جوار ساقيه حقيبة سفره ..

دلفت السكرتيرة إلى داخل المكتب الملاصق لها ، ثم عادت بعض لحظات وعلى وجهها ابتسامة عريضة و..

-السكرتيرة بنبرة حماسية ، ونظرات متفحصة : تفضل سيد رائد ، الأستاذ عماد في انتظارك

نهض رائد عن الأريكة ، وترك حقيبة سفره بالخـــارج ، ثم دلف إلى داخل المكتب لكي يقابل عميد فرع الجامعة ..

استقبل الأستاذ عمـــاد رائد بالترحاب الشديد ، وشكره على قبوله العمل في ذلك المكان النائي .. ووعده بأنه سيقضي وقتاً طيباً هنا ، وأخبره أن طبيعة الناس في تلك البلدة هي السماحة والطيبة ، ثم طلب منه ان يرافقه لكي يقدمه إلى أعضاء هيئة التدريس وزملائه في العمل ..

دلف الاثنين خـــارج المكتب ، ثم سارا عبر رواق عريض حتى وصلا إلى نهايته ، فقرأ رائد ما دُون على اللافتة الذهبية الصغيرة المعلقة على باب زجاجي ذو إطار خشبي ..

-رائد بخفوت وهو يمط شفتيه : أعضاء التدريس ..

أشـــار الأستاذ عماد لرائد بالدخول إلى تلك الغرفة الواسعة ، فابتسم له رائد في هدوء ، ولحق به إلى الداخل

قام الأستاذ عمـــاد بتقديم رائد إلى زملائه في الجامعة الذين بادلوه التحية والترحيب ، وتمنوا له عاماً دراسياً موفقاً ، وكان من بين الحاضرين امرأة جميلة في ريعان شبابها ، هي حسناء المظهر ، ولكن ملامح وجهها توحي بأنها مغرورة ومتعالية .. وشخصيتها قوية ، بشرتها بيضاء كالثلج ، وشفاهها ممتلئة للغاية .. كانت تلك المرأة متفننة في وضع مساحيق التجميل بغزارة على وجهها ، فنجحت في لفت أنظار رائد ، فسلط بصره عليها ..

اقتربت تلك المرأة – والتي كانت ترتدي فستاناً ضيقاً من اللون الأزرق الزاهي - من رائد وقامت بمد كف يدها الرقيق لتصافحه ، فأمسك به وصافحها وهو ينظر إليها بنظرات دقيقة ، ثم اشتم رائحة عطرها القوي الذي آســر أنفه و ..

-جينا بصوت أنثوي ناعم ، ونظرات مغترة : مرحباً بك ، أنا جينا

-رائد بصوت رخيم ، ونظرات متفحصة : مرحباً

تعمدت جينا أن تتمايل بجسدها أمام رائد وهي تبتعد عنه تاركة إياه يتخبط في سحرها الآخـــاذ ، وهي واثقة أنها ستوقعه في شباكها عما قريب ، لينضم إلى تلك القائمة العريضة من ضحايا حبها الزائف ..

تشوق أعضاء هيئة التدريس إلى معرفة أخـــر المستجدات بالجامعة وبالمدينة ، فغالبيتهم كانت تتوق إلى العودة للمدينة ، والبدء هناك حيث الترف وحياة الرفاهية .. تعجب رائد من رغبتهم الجارفة تلك على الرغم من أنه قد شعر بالارتياح منذ أول لحظة طرأت فيها قدميه أرض ذلك المكـــان ..

ثم اصطحب عميد الجامعة رائد بعد هذا إلى المبنى السكني الخاص بالمعلمين المغتربين ، والمجـــاور لمبنى الجامعة .. وهناك عـرف رائد مكان غرفته السكنية والتي كانت بالطابق الثالث .. ثم طلب منه الأستاذ عمـــاد أن يستريح قليلاً من عناء السفر ليبدأ مع صباح الغد عمله ..كما وعده بأنه سيعمل جاهداً على توفير كل ما يحتاج إليه خلال العام الدراسي .. فنظر له رائد بامتنان ، وشكره على مجهوده المضني معه ..

انصـــرف الأستاذ عماد من أمام رائد بعد أن ودعه ، ثم أمسك رائد بمقبض الباب الخشبي ، ودلف إلى داخل غرفته الجديدة ..

كان العامل قد أحضر قبل قليل حقيبة سفر رائد ، وأسندها على الفراش .. فاقترب رائد منها ، ومد يده ناحيتها ليفتحها ويفرغ محتوياتها .. بحث رائد بعينيه عن مكان خزانة الملابس فوجدها موجودة بأحد أركان الغرفة ، وإلى جوارها يوجد طاولة صغيرة ، وكذلك مكتبة صغيرة بها عدد من الأرفف .. وفي تلك اللحظة تذكر رائد أمراً هاماً ، لقد نسي تماماً أن يحضر حقيبة كتبه الأدبية من السيارة التي كانت تقله إلى البلدة .. لقد وضعها أسفل مقعده ، ونسى أن ياخذها معه وهو يترجل من السيارة ..

ضرب رائد جبينه بمقدمة يده ، وظل يلعن حظه العثر الذي أنســـاه ذلك الكنز الأدبي الثمين ..

زفـــر رائد في انزعاج جليّ ، وتبدلت ملامح وجهه للضيق وللعبوس ، فأكثر ما يُحزن المرء هو أن ينسى دون قصد شيئاً غالياً عليه .. وخاصة حينما يستحيل عليه استعادته ..

رتب رائد ملابسه في الخزانة ، وبدل ثيابه بملابس النوم المريحة ، ثم أشعل المدفئة الموجودة في الركن البعيد من الغرفة لتبعث الدفء عليه .. ثم اتجه رائد بعد ذلك ليجلس على مقعد خشبي هزاز موجود أمام النافذة العتيقة ..

ظل رائد يتأمل منظر البلدة الطبيعي من نافذة غرفته ، ثم مـر بباله طائف جينا ، وجمالها المغري ، فابتسم في تهكم .. فقد أدرك أنها ليست بالمرأة

الهينة .. ورغم هذا لم يفكر فيها طويلاً ، فقد كان حزيناً على ضياعه لكتبه الثمينة ..

.....

في صباح اليوم التالي ، استيقظ رائد مبكراً بعد أن استغرق وقتاً في الحصول على قسط من النوم ، فالمكان جديد عليه ، بالإضافة إلى أن عقله لم يتوقف عن التفكير فيما هو مقبل عليه اليوم ..

دلف رائد إلى المرحاض ، ثم اغتسل ، وبدل ثيابه ، وارتدى بنطالاً من القماش ذو لون رصاصي داكن ، ومن الأعلى قميصاً اسوداً وفوقه ارتدى ذلك المعطف الثقيل الأسود ..

نظر رائد من نافذة غرفته ليتفقد حالة الطقس ، فالوجد أن الشمس – على غير عادتها – مشرقة ، والجو نوعاً ما أقل برودة عن الأمس ..

مشط رائد شعره ، وتأمل هيئته ، وعَدَل من وضعية ياقة قميصه ، ثم وضع القليل من عطره الهاديء ، وسار في اتجاه الطاولة ، وجمع بعض من متعلقاته الشخصية ، ووضعها في حقيبة يد جلدية صغيرة ، ثم اتجه ناحية باب غرفته ، ودلف إلى الخارج ، ثم أوصد الباب ، وسار في اتجاه الدرج ..

توجه رائد إلى مبنى الجامعة ، وقابل عدداً من الطلاب في طريقه ، بالإضافة إلى بعض من زملاء العمل ، فرحبوا به ..

سأل رائد أحد عمال النظافة عن مكان قاعة التدريس الخاصة بمادة الأدب الانجليزي ، فأرشده العامل إلى مكانها ، ثم دلف رائد إليها

كانت القاعة واسعة وعريضة ، ومليئة بالمدرجات الخاصة بالطلبة ، والتي تتدرج للأعلى لتشكل سلماً ..

كان الطلبة قد بدأوا بالتوافد على القاعة ، والكل يرمق هذا الأستاذ الجامعي بنظرات متنوعة ما بين تساؤل واستغراب ..

قدم رائد نفسه إلى طلابه ، وبدأ في التحدث عن تاريخ الأدب الانجليزي بإسلوب سلس وجذاب يعتمد على طريقة التشويق ، ثم تطرق بعد هذا إلى أهم رواده ، وكيف تطور على مدار السنون من خلال عبارات بسيطة ومرتبة ..

استطاع رائد أن يجذب انتباه الطلاب طوال وقت محاضرته ، فالكل متشوق ليعرف المزيد والمزيد عن الأدب الانجليزي بالرغم من صعوبتها كمادة للدراسة .. ثم توقف رائد عن السرد عند جزئية مشوقة ، فجعل الطلبة يتذمرون ويطالبونه بعدم التوقف فقد نجح في إثارة فضولهم ، ولكنه بكل حرفية طلب منهم إجراء بحث بسيط عن تلك الجزئية ، فوافقوا دون تردد ، ثم تركهم وانصـرف ..

عـــاد رائد إلى غرفة أعضاء هيئة التدريس ليجد جينا – ذات الفستان الأحمـــر الناري - جالسة على الطاولة المستديرة التي تتوسط الغرفة وهي واضعة ساقها البيضاء فوق الأخـرى ، وترمقه بنظرات مثيرة ..

أطرق رائد رأسه في حرج ، فبرغم برودة الطقس إلا أن تلك المرأة تتعمد ارتداء ما يبرز مفاتنها لتثير شهوات الرجال ، وما يجعل أنظارهم دائماً مسلطة عليها ، ثم ســـار في اتجاه مكتب بعيد مجاور لنافذة عريضة قد تم تخصيصه له ..

سحب رائد المقعد الخشبي المبطن بالقماش الجلدي الداكن ، ثم جلس عليه ، وبدأ في ترتيب أوراقه ، ولكنه تفاجيء بجينا تقف أمامه ، وتتفحصه عن كثب ، فأخفض عينيه و..

-جينا بنبرة ناعمة ، ونظرات جريئة : صباح الخير رائد

-رائد بنبرة متحشرجة ، وبصره مجفل للأسفل : صباح الخير

-جينا متسائلة بصوت دافيء : هل انتهيت من محاضرتك ؟

-رائد بإقتضاب : بلى

مطت جينا شفتيها بطريقة مغرية ، ثم جلست بجسدها على سطح مكتبه ، فاتسعت عيني رائد في ذهول من تلك الحركة الجريئة ، ثم أخذت جينا تهز في ساقها المتدلية بهزة خفيفة وثابتة مما اضطر رائد لأن ينهض عن مكتبه ، و..

-رائد بنبرة جـادة : لقد تأخرت عن موعد هام

نهضت جينا عن سطح المكتب هي الأخـرى ، والانزعاج قد بدى واضحاً على وجهها ، ثم وقفت قبالة رائد لتسد عليه الطريق و..

-جينا بنبرة أشبه للفحيح : ولكني لم أبدأ بالحديث معك بعد

-رائد بنبرة رسمية : وأنا ليس لدي وقت

لم تتحرك جينا من أمام رائد ، وظلت ترمقه بنظرات عميقة جعلته يتسائل عن سبب إصرارها على التقرب منه ، فأخبرته أنها تحبذ نوعه من الرجـال ، فهم قليلون للغاية ، بالإضافة إلى شخصيته الفريدة من نوعها ..

شعر رائد بنوع من الإطراء ، مما حمّس جينا أكثر لكي تتحدث معه بأريحية تامة ، ولكنه لم يُعجب بطريقتها المتساهلة في الحديث ، وحـاول أن يبدو مهذباً معها ، ولكن كل حديثها كان يشير إلى أن الطريق إليها سهل ولن يكلفه العناء ..

رمـق رائد جينا بنظرات متأففة ، ثم استأذن بالإنصراف ، ولكنها أبت أن تتركه لشأنه مما جعله ينفعل عليها ، و يدفعها بحدة بكتفه لكي يمر ، ثم سـار في اتجاه باب الغرفة ، ودلف للخـارج ، وكان على وشك الصدام بأحد الأشخاص ذوي القامة القصيرة ، والجسد الممتليء بالشحم ، ولكنه تفاداه بأعجوبة ، فتوقف هذا الزميل قبالته ، وابتسم له ببلاهة وهو يرحب به ، و..

-أيمن بنبرة مرحة : أنا أيمن ، يبدو أنك قد نسيت اسمي

-رائد بجدية : معذرة ، فأنا جديد هنا وآآ...

-أيمن مقاطعاً بنبرة مألوفة : لا تشغل بالك ، يومين في تلك البلدة الكئيبة وستعتاد كل شيء

ابتسم رائد ابتسامة مصطنعة ، ثم فكر في أن يسأله عن ..

-رائد متسائلاً بنبرة شبه جـــادة : هل يمكنك مساعدتي في أمر ما ؟

-أيمن بحماس : بالطبع

-رائد بهدوء ، ونظرات ثابتة : لقد أضعت كتبي ، وأريد أن أشتري بديلاً لها ، فهل يمكنك أن تدلني على مكان لبيع الكتب ، أو حتى مكتبة قريبة أستعير منها بعض الكتب

-أيمن وهو يزم شفتيه : مممم... يوجد هنا مكتبة ملحقة بالجامعة ، ولكنها في حالة مزرية ، ومغلقة للصيانة

-رائد باستغراب : كيف هذا ؟

-أيمن بنبرة آسفة : لقد أفسدتها مياه الأمطـار ، وبالتالي تم اغلاقها ، ولكن إن شئت يمكنني أن أقرضك بعضاً من كتبي

-رائد وهو يلوي فمه في امتعاض : شكراً لك ، ولكني أحبذ امتلاك كتبي بنفسي

صمت أيمن قليلاً لكي يفكر في بديل عن مكتبة الجامعة ، وكـأن عقله قد أضاء فجـأة ، فبادر بـ ...

-أيمن بنبرة متلهفة ، ونظرات مشرقة : لقد تذكرت

-رائد متسائلاً باستغراب : تذكرتُ ماذا ؟

-أيمن بنبرة حماسية : هناك مكتبة بعيدة توجد على أطراف البلدة ، لا أعلم إن كانت مازالت تعمل إلى الآن أم لا ، ولكني سأدلك عليها على أي حـــال

-رائد بنبرة ممتنة : أشكرك على تعبك ..

-أيمن متابعاً بنبرة عادية : لحظة أكتب لك العنوان في ورقة

دلف أيمن إلى داخل غرفة أعضاء هيئة التدريس ، في حين ظل رائد متواجداً بالخـــارج ، وسمع صوت همهمات دائرة بينه وبين جينا ، ثم بعد لحظات عـاد أيمن إليه وهو يحمل ورقة مدون عليها اسم المكتبة وعنوانها ..

أمسك رائد بالورقة ، وقرأ ما دون بها وعلى وجهه علامات إندهاش واضحة و..

-رائد بنبرة متعجبة ، ونظرات استغراب : المكتبة تدعى " كتاب الحب "

-أيمن مبتسماً ابتسامة عريضة : بلى ، فصاحبها كان شغوفاً بالكتب ، بل الأحرى أن تقول مهوساً بهم ، ويعشقهم كما لو كان يعشق فينوس آلهة الجمال ..

مطت رائد شفتيه في استغراب أكثر ، ورفع أحد حاجبيه في حيرة ، ثم شكـــر أيمن مجدداً على مساعدته له ، وانصـرف ..

إستندت جينا بجسدها على باب الغرفة ، وعقدت ساعديها أمام صدرها ، وظلت تتابع رائد وهو ينصرف مبتعداً عن المكان .. ثم ابتسمت في تهكم ، وتعهدت لنفسها بألا تترك ذلك المثير الغامض يفلت من شباكها ، فقد نجح في خطف أنظارها .....

.....

الفصل الثاني :

أثار اسم تلك المكتبة فضول رائد كثيراً ، وظل يتسائل في نفسه بحيرة عن السبب الحقيقي وراء تسميتها بذلك الاسم " كتاب الحب " ..

ســـــار رائد في طرقات البلدة بخطوات ثابتة نوعاً ما ، ثم بدأ يستعين ببعض أهالي البلدة في الوصول إلى عنوان تلك المكتبة ، ولم يبخل عليه أي أحد بالمساعدة ..

بعد نصف ساعة من السير ، وصل رائد إلى سهل أخضر غني بالذروع الناضرة ، وبالفعل كما قال له أيمن وجد مبنى صغير وعتيق مكون من طابقين يتوسط هذا السهل المترامي الأطراف ..

حدق رائد في ذلك المبنى الخشبي القديم في طرازه ، ودقق نظرته أكثر في تلك اللافتة الخشبية المثبتة على أول الطريق الطيني الممهد والتي تحمل اسم المكتبة المثير للفضول ..

أخذ رائد نفساً عميقاً ثم ســار بخطوات حذرة على الطريق الطيني إلى أن وصل في نهايته إلى طريق معبد بالأحجار ، فسار عليه حتى وصل إلى عدة درجات خشبية ، ثم صعد عليها ، ووقف أمام ذلك الباب الزجاجي ذو الإطــار الخشبي العريض ..

تلفت رائد حوله باحثاً عن أي أحد متواجد أمام مدخل تلك المكتبة الواسع ، ولكنه لم يجد إلا مقعد خشبي مستند إلى أحد الجوانب ، بالإضافة إلى بعض أواني الزرع الموضوعة على حافة السور الخشبي العريضة ..

طرق رائد على الباب الزجاجي بطرقات خفيفة ، وانتظر أن يأتيه الجواب من الداخل ، ولكن ظل الصمت هو سيد الموقف ..

لذا قرر رائد أن يدلف إلى الداخل ، فأمسك بالمقبض وأداره بحرص ، ثم فتحه ، فاستمع إلى صوت موسيقي خافت يصدر نتيجة ارتطام نجوم معدنية صغيرة متدلية من أعلى الباب ..

شعر رائد بالدفء فور دخوله إلى المكتبة ، وأن هناك شعوراً غريباً بالألفة يسيطر على المكان ، ويبعث بالراحة والسكينة على النفس .. فاندهش في نفسه ، ثم جـــاب بعينيه المكان من الداخل ، فرأى أرفف خشبية كثيرة ومكتظة بالكتب المتنوعة في الأحجام والأشكـــال .. اعتلت الدهشة ملامح وجه رائد ، وانبهر بوجود هذا الكم الهائل من الكتب الثمينة والغالية دون أي اكتراث من أي أحد ..

تحرك رائد في اتجاه أحد الأرفف والمدون أعلاها " روائع الأدب الانجليزي " ، ومد يده ليمسك بأحد الكتب ، وبدأ يقلب في صفحاته بإهتمام شديد ..

ولكنه توقف فجـــأة عن متابعة ما يفعل ، حيث آســـر انتباهه صوت أنثوي رقيق وهاديء يأتي من خلفه و...

-إيلي بصوت ناعم : هل يمكنني مساعدتك ؟

استدار رائد بجسده ببطء ليجد شابة ـ هادئة الملامح ، ذات قسمات وجه جميلة ، ووجنتين متوردتين ، وجسد رفيع ممشوق ـ تقف خلفه في بداية العشرينات من عمرها .. للحظة توقف الزمن عن الدوران ، وشرد رائد في تعبيرات وجهها البريئة ، ثم تمعن في عينيها البنيتين العميقتين ، وسرح في شعرها الكستنائي المعقوص للخلف برباط شعر بلاستيكي .. ثم أخفض بصره ليتابع حركة شفتيها العاصية وهي تعيد تكرار السؤال عليه ..

أفاق رائد من شروده ، وتنحنح في حرج ، ثم ..

-رائد بصوت متحشرج : معذرة

ابتسمت له تلك الشابة في عذوبة ، ونظرت إليه بنظرات دافئة و..

-إيلي بصوت خافت : كيف يمكنني مساعدتك ؟

حـــاول رائد أن يُحيد ببصره عن تلك الشابة ، ولكنه عجز عن فعل هذا ، فقد شعر أن هناك هالة ما تحيط بها تجعله أسيراً لها ، ورغم أن تلك الشابة لم تكن متكلفة المظهر وهي ترتدي فستانها الرمادي ـ ذو الخصر الضيق وفتحة الصدر الدائرية الصغيرة ، والأكمام القصيرة التي تصل إلى منتصف عضدها ـ ولا في زينتها .. إلا أنها كانت مميزة بحق ..

ـرائد بنبرة متلعثمة : أنا .. انا أستاذ جامعي انتقلت للعمل هنا و .. و أبحث عن كتب معينة ..

مطت إيلي شفتيها في اهتمام ، ومالت برأسها للجانب ، و..

ـإيلي بنبرة ناعمة : مرحباً بك هنا ، أنا إيلي

ثم مدت إيلي يديها لتصافح رائد الذي أسرع في مصافحتها وتلمس أصابع يدها .. يا الله كم هي دافئة بشرتها رغم البرودة التي تسود في الأجواء .. كم أن الدموية الحارة تنبعث في روحها رغم الجمود الذي يصيب بعض الأشخاص في مثل هذا الطقس القارص ..

ظهر شبح ابتسامة على زاوية فمه ، ثم ..

ـرائد بنبرة عميقة ورخيمة : وأنا رائد خلدون ، أستاذ الأدب الانجليزي

رمقت إيلي رائد بنظرات إعجاب وهي تتابع حديثه بإهتمام شديد ، في حين ظل رائد مسلطاً بصره عليها ليتنعم بجمالها الطبيعي الهادىء ..

ـإيلي بصوت دافيء : هلا أخبرتني بإسم الكتاب الذي تبحث عنه

ـرائد بصوت آجش : إنه ذهب مع الريح لـ " مارغريت ميتشيل "

ـإيلي وهي تمط شفتيها : مممم... لحظة واحدة ، دعني أتفقده لك ..

وقفت إيلي إلى جوار رائد ، ورفعت بصرها للأعلى لتطالع أسماء الكتب المتراصة على الرف ، فلاحظ هو فـارق الطول بينهما ، وأنها نوعاً ما صغيرة الحجم بالنسبة إليه ، وأنه يصل إلى ضعفين حجمها ..

تابع رائد كل إيماءة وحركة تصدر عن إيلي بنظرات متفحصة دارسة لها ، ولم يحيد ببصره عنها ، إلى أن استدارت برأسها لتنظر إليه ، فشعرت بالحرج من نظراته المسلطة عليه ، فأطرقت رأسها في خجل و..

-إيلي بنبرة خجلة ، وخافتة : للأسف لا يوجد الكتاب ضمن تلك المجموعة ..

-رائد وهو يهز رأسه : مممم...

صمت رائد للحظة وهو متردد في سؤال إيلي عن سبب تسمية المكتبة بهذا الاسم ، وفضل أن يسألها لاحقاً ..

-إيلي بصوت ناعم : إذا كنت غير متعجل ، فاترك لي مهلة كي أبحث لك عنه في المجموعة الموجودة بقبو منزلي هذا ، فأنا متأكدة أني رأيته من قبل

-رائد متسائلاً باستغراب : قبو المنزل ! هل تعيشين هنا ؟

أومـــأت إيلي برأسها ايجابياً ، ثم أردفت بـ ...

-إيلي مبتسمة في عذوبة : تلك المكتبة هي منزلي ، فوالدي الراحل قد أسسها بحب ، وانا ورثت عنه شغفه بالكتب والقراءة ، كما أنني أعيش في الطابق العلوي ، أما هذا الطابق فكما ترى يتضمن المكتبة

أدار رائد رأسه في أرجـــاء المكتبة ليتفحصها أكثر ، ثم عاود النظر مجدداً إلى إيلي و...

-رائد بنظرات متعجبة ، ونبرة مندهشة : شيء عجيب حقاً

-إيلي متسائلة بهدوء : ولماذا العجب ؟

-رائد بنبرة جـــادة : المكتبة هنا قيمة ، ولكن يبدو أن الناس لم تعد تحبذ القراءة

-إيلي بنبرة آسفة : هذا صحيح ، ولكني مازالت أقرأ ، وهذا هو الأهم

-رائد متسائلاً بإهتمام : هل تدرسين إيلي ؟

أطرقت إيلي رأسها مجدداً في احراج ، ثم عضت على شفتيها في خجل ، و..

-إيلي بنبرة خجلة : لا للأسف ..

عقد رائد حاجبيه في استغراب شديد ، ورمق إيلي بنظرات أكثر إمعاناً و...

-رائد بجدية : لماذا ؟

-إيلي وهي تتنحنح في حرج وبتلعثم : احم .. آآ... لأن والدي حينما توفي لم يكن معي المـــال الكافي لكي أكمل دراستي ، أو أتحمل نفاقات معيشتي ، فتركت الدراسة ، و آآ.. واكتفيت بإدارة مكتبة الحب ..

-رائد بتردد : هل يمكنني أن اسألك شيئاً ما يحيرني ؟

-إيلي بنبرة مهتمة : تفضل

-رائد بصوت رجولي عميق : لماذا سمى والدك المكتبة باسم " كتاب الحب " ؟

ابتسمت إيلي في رقـــة ، وبدأت الدمـــاء تتدفق في وجهها أكثر من جديد لتجعله أكثر حيوية و..

-إيلي بنبرة حماسية ، ونظرات شغوفة : لأن الكتب التي هنا جمعها والدي بالحب ، فأراد أن يجعل من يقتني الكتب يغمره الحب ، و يحبهم كم أحبهم هو ، فسمى تلك المكتبة تيمناً بالحب النقي

-رائد بإعجاب : اختيار صائب ..

ثم صمت رائد لبرهة ليلتقط نفسه قبل أن يتابع بـ ...

-رائد بصوت هامس ، ونظرات حانية : حتى أنا قد شعرت أيضا بدفء الحب يغمرني فور أن وطأت قدماي تلك المكتبة

ابتسمت إيلي في خجل ، وتوردت وجنتيها أكثر ، ثم عقدت أحد ساعديها أمام صدرها ، ورفعت الذراع الأخـــر ناحية وجهها ، لتعبث بالقرط المتدلي من أذنـها ...

أشـــاح رائد برأسه بعيداً عن إيلي لينظر إلى السماء التي بدأت تظلم تدريجياً ، ثم أعاد رأسه في اتجاه إيلي ، وحدق فيها ، و ...

-رائد مبتسماً ابتسامة رضا : يبدو أن الوقت معكِ يمر بسرعة

-إيلي وهي تزم شفتيها بخفوت : أها .. حقاً ؟

نظرت إيلي هي الأخـرى إلى الخارج من خلال باب المكتبة الزجاجي ، و..

-إيلي بصوت هامس : أووه ، لقد بدأ الظلام بالحلول ..

-رائد بنبرة جـــادة : سوف أراكِ غداً إيلي

-إيلي باستغراب : لماذا ؟

توتر رائد ، ورفع يده عالياً ليضعها على فروة رأسه ، ثم بدأ بحكها ، و...

-رائد بنبرة متلعثمة : آآآ... لكي أسأل عن الكتاب

-إيلي مبتسمة ، وبنبرة متمهلة : لا داعي للتعجل ، فأنا سوف أبحث عنه ، ووقتما أجده سوف أوصله إليك

-رائد بنبرة حائرة ، وهو عاقد حاجبيه : ولكنك لا تعرفين مكاني

-إيلي بنبرة واثقة : سوف أجدك ، فهذه بلدتي سيد رائد

ابتسم رائد في ارتياح ، ثم مد يده ليصافح إيلي ، وتركها وســـار في اتجاه باب المكتبة ، وقبل أن يدلف للخــارج ، التفت برأسه لكي يرمق إيلي بنظرات أخيرة ..

لوحت إيلي بأصابع يدها إلى رائد ، ثم ســـارت خلفه بعد أن انصرف ، ووقفت إلى جوار باب مكتبتها الزجاجي ، وظلت محدقة بالطريق الذي يسير عليه ، في حين كان هو يختلس النظرات إليها وهو يرحل مبتعداً حتى اختفت تماماً عن أنظاره ، واختفى هو من أمام عينيها ، فعاودت أدراجها للداخل ، وأوصدت الباب من خلفها ..

.....

طوال طريق العودة للمبنى السكني الملحق بالجامعة ، ظل رائد يفكر في تلك الشابة الجميلة إيلي ، لقد أعطت إلى روحه الهائمة الدفء والحياة ، فشعر أن هناك شيئاً ما مميزاً بها ، شيئاً يبعث الحياة في داخله ، شيئاً جعل قلبه يخفق لأول مرة وبشدة ، شيئاً أشعل الجذوة الخامدة في صدره ..

لم يكف رائد عن التفكير بإيلي وبأحوالها ، وظل يتردد في صدى عقله حديثها عن شغف والدها بالكتب ، وعن مكتبة الحب ، وعن تركها للدراسة .. ألقى رائد بجسده المرهق على الفراش ، وحاول أن يتوقف عن التفكير في إيلي ، ولكنها كانت تطغى عليه حتى وهو على فراشه وطائفها يمر أمام عينيه ، لقد ظل محدقاً طوال الليل بسقفية الغرفة ، واضعاً لكلا يديه خلف رأسه ، مبتسماً ابتسامة عفوية ، ممنياً نفسه بلقائها غداً ، حتى وإن رفضت لقائه .. ثم أغمض عينيه ليغفو لعلها تأتيه في حلمه ..

.....

طوال الأيام اللاحقة ظل رائد يتردد على مكتبة " كتاب الحب " متحججاً بأنه يبحث عن كتب أدبية منوعة ومختلفة ، في حين أنه كان يستمتع بوجوده مع إيلي - شعلة الحب المتحركة .. لقد أبهرته بمدى ثقافتها ، ومدى إطلاعها على كل ما هو متصل بالعلم رغم أنها لم تكمل تعليمها الجامعي ، وعرف أكثر عن هواياتها ، وكتبها المفضلة ، وما تحبذ قرائته وخاصة الشعر الأدبي ، وأخبرته أنها تكتب خواطر قصيرة ، فألح عليها لكي يقرأها ، ولكنها رفضت طلبه بتهذيب ، واعتذرت له عن السماح له بالإطلاع عليها معللة هذا بأن خواطرها هي عنوان حياتها ..

احترم رائد رغبتها رغم أن الفضول كاد يقتله لكي يعرف عنها المزيد والمزيد ...

أدرك رائد أن المعنى الحقيقي للحياة هو أن يكون بصحبة إيلي ، فهي من أعطت لحياته الراكدة معنى ، بل إنها أضفت عليها الحيوية والدفء في ظل تلك البرودة الجافة .. فأصبح أمامها كالكتاب الخاوي الذي تسطر فيه بوجودها معه ذكريات بريئة وخالدة ..

نظم رائد وقته ما بين التدريس بالجامعة ، وبين الذهاب إلى مكتبة " كتاب الحب " حيث توجد رفيقة الروح إيلي ..

.....

في تلك الأثناء حاولت جينا جاهدة لكي توقع برائد في براثن حبها الزائف ، ولكن للأسف لم تنجح ، فكلما تقربت منه خطوة ، صدها وأبعدها عنه ، وحذرها لأكثر من مرة بكل أدب بعدم الاقتراب منه ، ولكنها لم تتوانى عن ملاحقته .. فقد أصبح التحدي الأكبر بالنسبة لها ، وصار رفضه لها سبباً قوياً لكي تجعله فريستها .. ولكن للأسف تحولت هي إلى فريسة حبه ، وتحول حبها الزائف إلى حب جنوني يسيطر عليها كلياً ..

ظلت جينا تتابع رائد عن كثب ، فقد أثار جنونها بتجنبه لها ، وقررت أن تراقبه لتعرف ما الذي يمنعه عنها ، فلاحظت تردده اليومي على تلك المكتبة المترامية الأطراف ، وقضائه لوقت طويل بداخلها ، وحينما إختلست الأنظـــار لتعرف ما الذي يدور في الداخل ، وجدته بصحبة شابة صغيرة ومسلطاً عينيه عليها ، ويرمقها بطريقة غريبة غير تلك التي ينظر لها بها .. إنه يرمقها بنظرات الحب الطاهر ..

لقد شعرت جينا بغصة مريرة في حلقها ، فكيف لجاهلة مثل تلك الحمقاء التي لا تجيد اي شيء سوى بيع الكتب المستعملة أن توقع برجل جامعي متفتح ومطلع على العالم الخارجي كرائد .. كيف يمكنها أن تأسره هكذا وتجعله عاشقاً لها .. لقد شعرت جينا بالغيرة العمياء ، إنها الغيرة التي يمكن أن تودي بحياتها ما لم تستعد رائد مرة أخـرى ..

لذا قررت جينا أن تستغل أنوثتها الطاغية في إغداق رائد بالحب ، ولكن حب من نوع أخـــر .. بلى هو ذلك النوع الذي تنغمس فيه الأجســاد في الملذات المحرمة من أجل اشباع رغبتها ، ورائد كرجل لا يمكن مهما حـــاول أن يقاوم ما يمكن أن يُقدم له من إغراءات مثيرة ..

و في ليلة باردة ، كان رائد مشغولاً بقراءة أحد الكتب التي أهدتها له إيلي ، فسمع صوت طرقات خافتة على باب غرفته ، فنهض عن مقعده الخشبي الهزاز ، وأسند الكتاب الذي بيده على الطاولة ، ثم توجه ناحية الباب وهو يرتدي بنطالاً من اللون الرمادي الفاتح ، ومن الأعلى تي شيرتاً من اللون الأبيض ، ثم أمسك بالمقبض وأداره وتفاجيء بوجود جينا أمام باب غرفته و...

-رائد بنظرات مصدومة : جينا ! ماذا تفعلين هنا ؟

كانت جينا ترتدي فستاناً حريرياً قصيراً من اللون الفيروزي ، وذو أكتاف رفيعة ، وفتحة صـدر عريضة تبرز أنوثتها ، كما أنها تركت شعرها

الأشقر ينسدل على ظهرها ، ثم انحنت بخصرها قليلاً ، ورفعت يدها عالياً لتريه أنها ممسكة بزجاجة خمـر فيها ، وبكأسين في اليد الأخـرى ..

تمايلت جينا مجدداً في نعومة بجسدها أمام رائد ثم استندت بجسدها على باب الغرفة ، و..

-جينا بنبرة مغرية وناعمة ، ونظرات جريئة : الطقس بارد بالخارج ، واليوم ذكرى مولدي ، وأنا لا أود الاحتفال بمفردي ، فهل يمكنك الاحتفال معي ؟

شعـر رائد بالحرج من طلب جينا ، فأطرق رأسه للأسفل وهو واضع يده على رأسه يعبث بخصلات شعره الغير منمقة ، ثم رفع بصره في اتجاهها حينما أعادت طلبها عليه ولكن بصوت أقرب للهمس ، فرمقها بنظرات هادئة ، في حين نظرت هي إليه برجاء ، فتنهد في ضيق ، ولكن رغم هذا سمح لها بالمرور إلى داخل غرفته فهو لم يرغب في إحراجها .. و أشـار لها بيده لكي تدلف إلى الداخل ..

مرت جينا من أمامه بدلال أكثر ، وابتسمت له ابتسامة مثيرة وهي تمرق للداخل ، ثم أسندت الزجاجة والكأسين على الطاولة ، و أفرغت محتويات الزجاجة في الكأسين ، وأمسكت بأحدهما وقدمته لرائد ، ولكنه أشار لها بيده و..

-رائد بنبرة مقتضبة : معذرة جينا ، أنا لا أحتسي الخمر

ابتسمت جينا في هدوء حذر، ثم وضعت الكأس مجدداً على الطاولة بعد أن ارتشفت منه القليل ، واستدارت بجسدها لتواجهه ، وبدأت تتجاذب أطراف الحديث معه ، ولكن كانت معظم ردوده مقتضبة وجافة .. مما أثار حنقها أكثر .. ثم مدت أحد ساقيها للأمـام ، ووضعت كلتا يديها في منتصف خصرها و..

-جينا بنبرة أنثوية ناعمة للغاية : أنت رجل صعب المراس يا رائد

-رائد بنبرة جـادة : جينا ، من فضلك ، أنا لا أود افساد اليوم عليكي

-جينا بنبرة خافتة : ولكن يومي لن يكتمل إلا بك

أرخت جينا قبضتي يدها عن خصرها ، ثم سارت بميوعة أمامه حتى وقفت على بعد خطوة واحدة ، ثم رفعت يدها عالياً ، ووضعتها على رأسه وظلت تمسد على شعره برفق ، ثم نزلت بأصابع يدها على أذنه لتداعبها بأناملها الناعمة ، فسرت قشعريرة في جسده ، وأغمض عينيه ، ثم أخذ نفساً عميقاً فاخترق عطرها المثير أنفه ، وحـــاول أن يتحكم في نفسه ...

لقد كان الإغراء قوياً إلى حد كبير ، ومهما كان فهو رجل يضعف أمام سطوة الجمـــال الممزوج بالشهوة .. و جينا تجيد التلاعب بمشاعر الرجال ، وتعرف كيف تغويهم حقاً .. وبالتالي عرفت من أين تبدأ ، وكيف تبدأ ..

اعتلى شفتي جينا ابتسامة خبيثة وهي ترى تأثيرها ينعكس على رائد ، فتمادت أكثر معه ، ورفعت رأسها عالياً لكي تتلمس شفاهه بشفاهها ثم قبلته بشغف ، فأمسك هو برأسها ، وبادلها القبلات الحارة ، فاستندت هي بكلتا يديها على صدره ، وبدأت تتلمسه بأصابعها الباردة .. كـــاد رائد أن يستسلم لتأثيرها ويتمادى أكثر في أفعاله معها ، ولكنه توقف فجـأة عما يفعل ، ودفع جينا بعيداً عنه بعنف و..

-رائد بنبرة ممتعضة : كفى جينا

رمقت جينا رائد بنظرات حائرة ، فهي لا تعرف ما الذي أصابه فجـأة لكي يبعدها عنه بتلك الطريقة ، فاقتربت منه مجدداً ، ووضعت أصابع يدها على صدره و..

-جينا بنبرة مثيرة ، ونظرات شغفة : ما الأمر رائد ؟ أنا أريد أن أبادلك الحب ، لماذا تمنعني عنك ؟

أمسك رائد بمعصم جينا ، ثم أزاحه عن صدره بقسوة و...

-رائد بنبرة حـــادة ، ونظرات غاضبة : ولكني لا أريد هذا جينا ، فأنا لا أحب أن أكون خائناً

ضيقت جينا عينيها أكثر ، وحدقت في رائد بعدم فهم و..

-جينا بنبرة ممتعضة : ماذا تقول ؟

-رائد بنبرة صلبة ، ونظرات اشمئزاز : أنا لست كغيري ممن تجيدين إغوائهم ، ولن أكون يوماً مثلهم

-جينا بضيق : ولكني أحبك يا رائد ، أريد ان أقدم نفسي لك ، أريد أن أعطيك الحب الذي لن تتذوق حلاوته إلا معي ..

استدار رائد بجسده لكي يولي جينا ظهره ، و..

-رائد بنظرات استنكار ، ونبرة استهجان : أسف ، أنا لا أقبل تلك المقايضة الرخيصة .. من فضل انصرفي ، فقد حان موعد نومي

جزت جينا على أسنانها في غيظ ، ثم رمقت رائد بنظرات قاسية و..

-جينا متسائلة بغضب : أكل هذا بسبب تلك البائسة المعتوهة ؟

التفت رائد برأسه ، ثم نظر إلى جينا بنظرات محتقنة و..

-رائد بنبرة حـــادة ، ونظرات ثابتة : من تقصدين ؟

-جينا بنبرة استخفاف ، ونظرات ساخطة : إنها الحمقاء التي تواعدها سراً في مكتبتها اللعينة

اتسعت عيني رائد في ذهول ، وبدأت الدمـــاء تحتقن في وجهه معلنة عن غضب عـــارم و..

-رائد بنبرة صادحة ، ونظرات متوعدة ، وهو يشير بيده : أنا أحذرك يا جينا ، لا تتفوهي بحماقات كتلك ، وإلا سوف تندمين

-جينا بتهكم : إنك حقاً تحبها ، كيف نجحت في إيقاعك تلك المعتوهة ؟!

-رائد وهو يصرخ بعنف : جينا ! اخرجي من هنا ، فلم يعد وجودك مرحباً به

-جينا بنبرة غاضبة ، ونظرات نارية مشتعلة : أتطردني من غرفتك ؟

اقترب رائد من جينا ، وأمسك بها من ذراعها ، وقبض عليه بقسوة ، ثم ..

-رائد بنظرات متوعدة ، ونبرة هادرة : وأقتلك إن تجرأتِ وتحدثتي بالسوء عن إيلي

ارتعدت جينا من حالة العصبية المفرطة التي تملكت رائد فجـأة ، وفضلت أن تنصرف عن وجهه قبل أن يهدر بها أكثر ..

ولكن قبل أن تنصرف تماماً من غرفته تعهدت له بـ ...

-جينا بنبرة مختنقة ، ونظرات قاسية : ولكنك ستعود لي يا رائد ، ستعود لي عمـا قريب ، وهذا وعد مني بهذا .... !!!

ثم صفعت الباب خلفها بعنف ، في حين بصق رائد في تقزز بعدما انصرفت ، ثم وضع كلتا يديه على رأسه ، وظل يعاتب نفسه على ما فعله ويلومها بشدة ، فقد ندم على سماحه لتلك المرأة اللعوب بالدخول إلى غرفته ليلاً ، وبالتالي أتاح لها الفرصة لكي توقعه في الخطيئة ..

ظل رائد يزفر في انزعاج ، وشعر أن بجسده نيران مشتعلة ، فقد بات يخشى أن تتفوه جينا بحماقات أو أكاذيب زائفة مما يفسد العلاقة بينه وبين إيلي تلك الجميلة نقية الروح ..

إنتوى رائد أن يكون أكثر حرصاً بعد هذا ، و يتعامل بفظاظة مع جينا حتى لا يجعل نفسه عرضة للشكوك والأقاويل ..

وبالفعل أدركت جينا أن رائد قد تغير تماماً معها ، ولم يعد يجلس حتى بغرفة أعضاء هيئة التدريس ، وعلى قدر الإمكان يتجنب اللقاء بها حتى لو مصادفة ..

ظلت نيران الغيرة تتقد في صدر جينا ، فقد أرهقها حبها لرائد ، وهو على الجانب الأخـر ينبذها بشدة ..

ظنت جينا أنها لو حاولت أن تبدو مثل تلك المعتوهة إيلي فربما تنجح في استعادة رائد مجدداً ، فعمدت إلى تبديل ثيابها بأخـرى أقل إغراء ، وإلى التقليل من مساحيق التجميل التي تضعها ، ثم استغلت فرصة تواجد رائد بمفرده في قاعة التدريس الخاصة به لكي تنفرد بالحديث معه ، دلفت جينا إلى داخل القاعة وهي تسير بخطوات مرتبكة و...

-جينا بنبرة آسفة : أعتذر لك رائد عما بدر مني ، فأنا لم أقصد هذا

أشـــاح رائد بوجهه بعيداً عن جينا ، واستدار بجسده ، وظل يطالع بعض الأوراق الموجودة في يده ، و..

-رائد باقتضاب : لا بأس جينا

-جينا بخفوت ، ونظرات نادمة : لقد تغيرت كثيراً رائد ، ألا ترى هذا بعينيك ؟

التفت رائد برأسه في اتجاه جينا ، ثم دقق النظر فيها، ولاحظ بالفعل تبدل حالها ، وثيابها ، وأنها ترتدي فستاناً طويلاً من اللون الأسود ، ذي أكتاف عريضة ، وأكمـــام طويلة ، ولم يعد وجهها ملطخاً بتلك الكميات الهائلة من مساحيق التجميل ، فابتسم لها من زاوية فمه و..

-رائد بجدية : هذا أفضل لكِ ، عن إذنك ..

ترك رائد جينا واقفة في القاعة ، في حين انصرف هو بخطوات سريعة مبتعدة عنها .. ظلت جينا تنظر إلى رائد بنظرات متوعدة و..

-جينا بخفوت وبنبرة واثقة : لن تفلت مني رائد ، وأنا سأتقرب أكثر منك حتى أستعيد ثقتك أولاً ، وبعدها ستكون كلياً لي ، أعدك بهذا .....

.....

الفصل الثالث :

وعلى مدار الأسابيع التالية ، عـــاون رائد إيلي في ترتيب الكتب الموجودة بالقبو إلى أن انتهى الاثنين من إخراجها جميعاً إلى النور ، ثم حثها رائد على أن تقوم بالدعاية إلى مكتبتها لكي تدير عليها الربح المـــادي وتمكنها من إكمـــال تعليمها والإلتحاق بالجامعة ، خاصة أن بها آلاف من الكتب الثمينة ، ووعدها بأن يدعو كل من يقابله من أهل البلدة أو من خارجها للمجيء إلى هنا ، وإقناعهم بإقتناء تلك الكتب المقدمة بالحب ..

شكرت إيلي رائد كثيراً على مساعدتها ، وعلى وقته الذي يقضيه معها ، ولكنه أخبرها بأن متعته الحقيقية هي بوجوده معها ، وبوجودها في حياته ..

خجلت إيلي من مداعبات رائد لها بالكلمات ، وحاولت قدر الإمكان أن تخفي تعلقها به ، فهي كانت تخشى أن يفتضح أمـــر حبها البريء له ، وبالتالي تخسره إن كان لا يحبها حقاً .. فأثرت أن تجعل حاجز الصداقة بينهما قائماً ، وتكتفي بالتعبير عن حبها له في مفكرة خواطرها ..

لم يتجرأ رائد على أن يخطو أي خطوة إضافية في علاقته بإيلي ، فقد كانت دائماً تصرح له بأنها تعتبره صديقها الوفي الذي لا تريد خسارته ، وكان متوجساً خيفة من أن يكون حبه من طرف واحد .. وأنها لا تحمل له نفس المشاعر العميقة التي يكنها لها في قلبه قبل عقله ..

.....

كما لم تكف جينا هي الأخــرى عن خداع رائد بأنها قد تغيرت ، وأنها تعتبره الصديق الصدوق لها ، وأن نصائحه لها هي التي تعينها على المضي قدماً في طريقها العملي ومسيرتها العلمية ، فسقط رغماً عنه في مصيدة صداقتها الزائفة ، ووثق بها ، واعتبرها رفيقته المقربة التي يمكن أن تؤتمن على أسراره ، ولم يتردد في إخبارها عن حبه العذري لإيلي ...

كانت كلمات رائد عن حبه الكبير لإيلي بمثابة الطعنات القاتلة والنافذة في الصدر بالنسبة لجينا .. لقد أصغت إليه باهتمام ، وحاولت أن تبدو هادئة طبيعية رغم رغبتها العارمة في اقتلاع عنق إيلي وتمزيق جسدها إرباً إرباً ... تحاملت جينا على نفسها كثيراً حتى لا تفسد بغيرتها ما وصلت إليه مع رائد ، وقررت أن تجاريه إلى أن تتمكن من إزاحة إيلي من طريقها ..

.....

وفي أحد الأيام قرر رائد أن يدعو إيلي للخروج معه في نزهة بالبلدة لكي يصرح لها فيها عن حبه ورغبته في الزواج بها ، وظل طوال اليوم واقفاً أمام المرآة يتدرب على كيفية بدء الحديث معها .. لقد شعر أنه كالمراهق

المخبول الذي لا يجيد التعامل مع الفتيات رغم أنه كان متمرساً في فنون الأدب المختلفة ..

اعتذر رائد عن إلقاء محاضرته هذا اليوم ، وظل قابعاً طوال وقت الدراسة في القاعة يحاول أن يكتب الكلمات التي سيبدأ بها الحوار .. في نفس الوقت بحثت جينا عن رائد في غرفة أعضاء هيئة التدريس ولكنها لم تجده ، فتوجهت إلى القاعة الخاصة به ، فرأته هائماً على وجهه ، فدلفت إلى داخل القاعة وهي تسير بخطوات رشيقة ، ويعلو وجهها ابتسامة عريضة ..

وما إن رأها رائد حتى أسرع ناحيتها و...

-رائد بنبرة متلهفة : جينا ، أنا في حيرة من أري ، هلا مددتِ إلى يدك بالعون

تنهدت جينا بإرتياح ، وشعرت بنشوة عارمة تجتاحها وهي ترى رائد متلهف ومتشوق أمامها و..

-جينا بنبرة متحمسة ، ونظرات متفائلة : بلى ، فيما تريد مساعدتي ؟

-رائد بنبرة متلعثمة : أنا .. لا .. أعرف كيف أبدأ ، ولكني أريد .. أريد أن أتقدم لخطبة إيلي ، ولا أعرف كيف أفاتحها في هذه المسألة ، وآآ...

كانت تلك الكلمات كافية لتجعل ابتسامة جينا تختفي ، ووجهها ينطفيء ، ونظراتها تتحول إلى الضيق ..

لم تستمع جينا إلى كلمة اخـرى مما قالها رائد بعد هذا رغم أنها كانت تتابع بعينيها القاتمتين حركاته الحماسية ، ونظراته العاشقة لقد طعنها رائد في قلبها مجدداً بقسوة ، وها هو قد قضى على أخر بارقة أمل في أن تظفر به ..

وضعت جينا كلتا يديها على أذنيها لتغطيهما ، وتمنع حديثه عن خطبة من يحبها والزواج منها من إختراق أذنيها ، ثم هدرت فجـأة عالياً بـ ...

-جينا بصراخ حـاد : كفي رائد ، كفى ..!

قطب رائد جبينه في استغراب ، ورفع أحد حاجبيه في اندهاش ، ونظر إلى جينا بنظرات متعجبة و...

-رائد متسائلاً بنبرة حائرة : ما الأمر جينا ؟ هل هناك ما يزعجك ؟

عضت جينا على شفتيها في ضيق ، ثم أخذت نفساً عميقاً وزفرته على عجالة و..

-جينا بنبرة متشنجة : إن كنت تريد خطبة إيلي ، فأخبرها هي بهذا

-رائد بصوت آجش ومتوجس : كم أود أن أفعل هذا ، ولكني أخشى أن ترفض حبي لها ، فمازالت أجهل مشاعرها تجاهي ، وهي لا تعرف بعد بمشاعري الحقيقية نحوها

شعرت جينا أن هناك فرصة لكي تتخلص من إيلي إن كانت تبادل رائد تلك المشاعر الفياضة ، هي فقط عليها أن تعد لمكيدة توهم فيها إيلي أن رائد لا يحبها ، ويعتبرها كصديقة ، وأنه مرتبط بزميلته في العمل ومتعلق بها لدرجة الجنون ، وأن وجودها في حياته لا يتخطى كونها بائعة الكتب ..

ابتسمت جينا في خبث ، ونظرت إلى رائد بنظرات لئيمة و...

-جينا بنبرة هادئة : لا تقلق رائد ، أنا سأساعدك لكي تعترف لها بحبك .. فقط دعْ الأمر لي

-رائد بنبرة متشوقة ، ونظرات متعشمة : حقا ؟

-جينا بنظرات شيطانية ، ونبرة أقرب للفحيح : بلى ، فأنت لا تعرف مكانتك عندي ..

قضت جينا وقتها كله تفكر في وضع خطة للإيقاع بين رائد وإيلي ، وبالفعل توصلت إلى خطة شيطانية ، وبدأت في تنفيذها ..

طلبت جينا من رائد أن يذهب إلى إيلي في مكتبتها ، ويطلب منها أن تلقاه في الجامعة لاحقاً بحجة أن هناك كتباً معينة يريد عميد الجامعة أن تحضرها له ، بالإضافة إلى أنه يرغب في مفاتحة العميد في مسألة التحاقها بالجامعة أثناء وجودها ، ولكنه على العكس سيكون في انتظارها في قاعة الدراسة الخاصة به ، والتي ستتولى هي تزينها من أجل أن يتمكن هو من التعبير لإيلي عن حبه ، ومن ثم التقدم لخطبتها دون أي خجل أو أي عوائق تمنعهما من فعل هذا ..

وافق رائد على تلك الخطة البسيطة ، وظن أنها ستجدي نفعاً مع إيلي ، خاصة أن جينا تلاعبت على مسألة شغف إيلي بالمفاجأت الرومانسية ، وعلى حب رائد للنهايات الغير متوقعة في الأعمال الرومانسية السعيدة ، بالإضافة إلى أن الغد هو يوم الحب العالمي ، وبالتالي فسيكون مناسباً للتقدم بعرض الزواج ، وحينها سيحظى الاثنين بذكرى خالدة في ذاكرة حبهما ..

وبالفعل توجه رائد إلى مكتبة " كتاب الحب " ، وطلب من إيلي أن تقابله غداً في الجامعة ، وأوهمها أن الأمر يتعلق برغبة عميد الجامعة في اقتناء بعض الكتب ، ولكن وقته لا يسمح بالذهاب والبحث عما يريد ، بالإضافة إلى إمكانية مفاتحته في مسألة التحاقها بالجامعة ..

وافقت إيلي على طلب رائد ، وتحمست للقائه في مكان عمله ، فتلك هي المرة الأولى التي ستراه فيها وهو يمارس عمله .. وظنت أنها الفرصة المناسبة لكي تقدم له هدية غالية ، فهو لم يكف يوماً عن التفكير فيها ، وفي دعمها وتشجيعها .. وبالتالي فهو يستحق أن ينال تلك الهدية الثمينة ..

لقد آن الآوان لكي تعطيه مفكرتها الخاصة المليئة بخواطرها الصادقة ، خواطرها التي تمثل عنوان حياتها .. وفيها ستعترف بحبها الشديد له ، حبها البريء الذي لم تعد تستطيع أن تخفيه أكثر من هذا ...

.....

على غير العادة تأنقت إيلي كما لم تتأنق من قبل ، وارتدت فستاناً شتوياً قصيراً من اللون الأوفوايت ، وذو فتحة صدر مثلثة ، ويتوسط خصره حزاماً عريضاً من اللون الأسود أبرز رشاقتها ، كما مشطت شعرها الحريري بطريقة منمقة وتركته ينسدل خلف ظهرها ورفضت أن تعقصه كما تفعل دائماً ، وفرقته من الجانب لتترك المجال لبعض الخصلات الكستنائية بالانسدال على جبينها ، ثم وضعت لمسات رقيقة من مساحيق التجميل على وجهها لتزداد إشراقاً ..

تأملت إيلي هيئتها في المرآة ، ورأت بريق الحب يلمع في عينيها العميقتين ، ثم ابتسمت لنفسها في رقــة ، ومدت يدها لتمسك بمفكرة خواطرها الموضوعة على الكومود المجاور لفراشها ، وقامت بلفها بشريط أحمـــر وعقدته كالفيونكة حتى تقدمه هدية لمن تحب ..

انصرفت إيلي خـــارج منزلها ، وكلها حماسة ورغبة في لقاء رائد .. وتأمل هيئته حينما يقرأ عن اعترافها بحبها الشديد له ..

كان قلبها يخفق بشدة ، وصدرها يعلو ويهبط من شدة التوتر الممزوجة بالحماسة ..

استقلت إيلي سيارة أجرة حتى لا تفسد مياه الأمطـــار الراكدة ، ولا برك المياه الضحلة هيئتها الهادئة و المنمقة ..

توقف السائق أمام الطريق الذي يؤدي إلى مدخل الجامعة ، فترجلت إيلي من السيارة ، ثم تنهدت في خــوف وارتباك ، وفركت أصابع يدها في توتر ، وقبضت باليد الأخــرى على المفكرة ، ثم ســارت بخطوات حذرة عبر المروج الخضراء المحيطة بمبنى الجامعة لتتجه إليه ..

في تلك الأثناء لمحت جينا إيلي وهي تترجل من السيارة من نافذة غرفة أعضاء هيئة التدريس ، فابتسم في خبث ، ثم ..

-جينا بخفوت شديد ، ونظرات شريرة : لقد حــان الوقت .. !!

ســـارت جينا بخطوات متعجلة خــارج الغرفة ، ثم توجهت ناحية قاعة التدريس التي ينتظر بها رائد ..

كان رائد في حالة توتر ملحوظ ، ظل يجوب القاعة ذهاباً وإياباً في ارتباك وهو ممسك بعلبة زرقاء صغيرة بها خاتم ماسي رقيق ، وما إن رأى جينا وهي تدلف إلى الداخل حتى أسرع إليها ومد يده ليمسك بكف يدها و..

-رائد بنبرة متوترة ، ونظرات مترقبة : أووووه .. جينا ، أنا متلهف لرؤية إيلي والاعتراف لها بحبي

-جينا وهي تبتسم في لؤم : لا تقلق ، هي ستأتي و.. وستراك

وضعت جينا كفها الأخــر على يد رائد الممسكة بكفها ، وظلت تربت عليه وكأنها تحاول طمأنته ، ولكنها كانت تتعمد أن تجعل رائد ينشغل بالحديث معها ، فتقترب هي منه دون أن يشعر بها ، وبالتالي تراه إيلي حينما

تدلف للقاعة وهو ممسك بها ، فتنجح خطتها في إفساد أي علاقة قد تنشأ بينهما ..

لن تنكر إيلي أنها كانت تشعر بالخوف وهي تمر بين الأروقة المختلفة في تلك الجامعة التي طالما تمنت أن تكون إحدى طالباتها ، وها قد اقترب حلمها من التحقيق ، كما اقتربت أيضاً لحظة اعترافها بحبها لرائد ..

سألت إيلي أحد العاملين عن مكان رائد ، فأخبرها العامل عن مكان القاعة المتواجد بها ، فشكرته إيلي على مساعدته لها ، ثم توجهت بخطوات مرتبكة ناحيتها ..

وضعت إيلي يدها على صدرها لتهدىء من روعها ، فقد أصبح صوت خفقان قلبها يخترق آذانها .. تنفست إيلي بهدوء وهي تقترب من باب القاعة الذي كان شبه مغلقاً ..

في نفس الوقت ، أغدقت جينا على رائد بالكلام المعسول عنأهمية وجود الأصدقاء في الحياة ، وكيف أنهم يد العون الحقيقية لرفاقهم ، وشكرته مجدداً على وقوفه معها ، ثم اقتربت منه ومدت ذراعيها حوله لتحتضنه وتضمه إلى صدرها ، فبادله هو الأحضان دون أن يدري بنواياها الخبيثة ، ثم استندت برأسها على كتفه ، و...

-جينا بخفوت وهي مغمضة العينين : شكراً لك رائد على كل ما فعلته من أجلي ، أنا حقاً ممتنة لك

وضعت إيلي يدها على الباب لتدفعه بهدوء ، ولكن كانت المفاجأة أكبر من قدرتها على الاستيعاب ..

لقد رأت إيلي رائد في أحضان فتاة ما ويضمها بشغف إلى صدره ، وهو ممسك بعلبة زرقاء بها خاتم في يده التي تحاوط خصرها ، فبدى وكأنه

يتقدم بعرض الزواج منها ، فألجمت المفاجأة لسانها ، وجعلتها عاجزة عن النطق ، عاجزة عن التنفس ، عاجزة حتى عن الصراخ ..

فتحت جينا عينيها بهدوء ، فوجدت إيلي تقف على بعد بجوار باب القاعة ، فابتسمت في لؤم ، وتابعت بـ ...

-جينا بصوت ناعم للغاية : كم أحبك رائد ، أنت رائع بحق ..!

-رائد بنبرة هادئة : لا داعي لقول هذا جينا ، فنحن أكثر من مجرد أصدقاء

أدمعت عيني إيلي وهي ترى رائد محاوطاً لتلك الفتاة بذراعيه ، ويعرض عليها الزواج ، فتراقصت العبرات في مقلتيها بشدة ، ومن ثم إنهمرت على وجنتيها بغزارة ..

انسحبت إيلي في هدوء ، وشعرت أنها أخطـــأت حينما ظنت يوماً أن رجل جامعي ومتحضر مثله سيحب فتاة بسيطة وجاهلة مثلها ..

شعرت إيلي أن هناك آلماً حاداً يعتصر قلبها ، وأنها تعاني جرحاً غائراً لا يمكن أن يشفى يوماً .. لقد وثقت بالحب ، وها هي تختبر الشعور بالخيانة والخداع .. لقد لامت نفسها كثيراً لأنها استسلمت لمشاعرها البريئة ولم تقاومها منذ مهدها ..

ركضت إيلي بخطوات سريعة إلى خـــارج مبني الجامعة ، ركضت وهي متشبثة بمفكرتها بكلتا يديها وهي تضمها إلى صدرها ...

كانت تشعر بحرارة دموعها على وجنتيها رغم برودة الطقس ، ظلت تركض وتركض لعل النيران المتأججة بقلبها تخمد ، ولكن هيهات ، فقد إزداد لهيب الحب بصدرها ، وطغى على كل جوارحها ، وأصبحت تعاني من ويلاته ....

.....

إنسلت جينا من أحضـــان رائد وهي تبتسم بثقة ، فقد نجحت خطتها ، وأنهت علاقة الحب قبل أن يكتب لها النور ، وانصرفت من القاعة وهي توهم رائد بأنها تنتظر اخبار اعترافه بحبه لحبيبته – التي لن تصل أبداً - على أحـــر من الجمر ..

وقف رائد أمام النافذة يطالع الأشخاص المتواجدين بالأسفل ، وظل بين الحين والأخـــر ينظر إلى ساعة يده ، وإلى الطريق مترقباً وصـــول إيلي بشغف كبير ...

مـــر الوقت بطيئاً على رائد وهو منتظر إيلي ، وظل يُحادث نفسه ويقنعها بأنها على مشـــارف الوصول ، ولكن كان قلبه يخبره بأن هناك خطب ما قد حدث ، ثم مرت الساعة وراء الساعة ، ولم تأتي إيلي ، ورائد يزداد ضيقاً وتوتراً .. ورغم هذا ظل مسلطاً بصره على الطريق ، ولم يحيد عنه إلى أن اقتربت الشمس من المغيب ، وإيلي لم تحضر ، فتنهدت في يأس ، وجمع أشيائه ، واغلق العلبة الزرقاء بعد أن رمق الخاتم الرقيق الموضوع بها بنظرة حزينة ، و..

-رائد بصوت حزين : أين أنتِ إيلي ، لقد طال غيابك .....!!

.....

الفصل الرابع :

عـــادت إيلي إلى مكتبتها ، وأوصدت الباب من خلفها وهي تبكي بحرقة ومرارة قاسية ، ثم إنهارت بجسدها ، وجلست على ركبتيها على الأرضية

الخشبية القديمة وهي تشهق عالياً من الآسى والحزن المرير .. لقد عاتبت إيلي قلبها بقسوة ، قلبها الذي ضعف وأحب من لم يكن لها يوماً ، قلبها الذي ظن أن الحب لا يعرف الفوارق ، قلبها الذي كان يؤمن بحلاوة الحب إلى أن تذوق عذابه وقسوته .. واليوم تعلمت درساً موجعاً ، لن يُمحى من عقلها أبداً .. لقد تعلمت أنه لا وجود للحب إلا في الروايات ..

بكت إيلي كما لم تبكي من قبل ، وتعالت شهقاتها لتخترق ذلك الصمت القاتل في أرجـاء مكتبتها العتيقة ، ثم نظرت بعينيها الدامعتين حول ، فكل ركن من أركـــان تلك المكتبة يُذكرها به ، فهنا جلسا سوياً ، وهنا تشاركا الحديث ، وهناك داعبها بمعسول الكلام ، وهنا تغزل في حسنها الآخـــاذ .. لقد سكنت روحه هذا المكان ، وأصبح جزءاً لا يتجزأ منه ، فإزداد نحيبها ، واغرورقت عينيها أكثر بالدموع ، بلى ، لقد أدركت أنها لن تتحمل التواجد مع ذكريات من أحبت بمفردها هنا ، وهو بصحبة غيرها ، فتراه يضمها إلى صدره ، ويحاوطها بذراعيه ، ويداعبها بكلماته العذبة كما داعبها من قبل ، ثم يتغزل في جمالها الذي خطف الألباب .. لقد إنهار كل شيء فجـــأة أمام عينيها ، وتبخرت أحلامها ، وتحطمت قصورها الوردية ، وانتهت حياتها مع طرفة عين ، لقد أصبحت المكتبة التي طالما احتوتها وأعطتها الدفء والحيوية في أشد الليالي قسوة باردة ، كئيبة ، تخنقها أكثر كلما تنفست ...

أطرقت إيلي رأسها في آسى .. ثم نظرت إلى يدها القابضة على المفكرة ، وتسمرت في مكانها للحظة تفكر في أمـر أخير ، ثم نهضت فجأة عن الأرضية ، وسارت بخطوات متعثرة ناحية الدرج ، حيث يوجد المكتب الجانبي الصغير ، وبحثت بعينها عن أحد الأقلام ، فوجدت قلماً موضوعاً بأحد الأدراج ، فأمسكت به ، ثم فتحت أخـر صفحة في مفكرتها ، وسطرت فيها بدموع مريرة خاطرتها الأخيرة قبل أن تترك هذا المكان للأبد ..

((لم يعدْ لي مكان في حياته

فبرغم كل شيء أثرت الرحيل والنسيان ،

وأنا وحدي من سأعاني مرارة الفراق ،

ولوعة الاشتياق ،

فهكذا كنت في حياته ،

صفراً على اليسار ،

وحبي له ليس إلا حلم صعب المنـــال ،

فأنا لم أكن له يوماً ،

وليس لي في حياته مكان ..))

انهمرت مع كل كلمة تسطرها إيلي عبرات حارة ، فامتزج الحبر بالعبرات ، وتشوهت الكلمات كما تشوهت روحها النقية .. ثم أغلقت إيلي مفكرتها ، ونظرت إليها مرة أخيرة قبل أن تضعها على سطح المكتب ، وتبتعد بخطوات منكسرة ـ تاركة إياها على ذلك المكتب القديم – ثم توجهت إلى الدرج القريب منه ، وصعدت عليه لتتجه إلى غرفتها ، حيث بحثت عن حقيبة سفرها القديمة ، وقامت بجمع بعض من ثيابها على عجالة ، ودستهم بعدم اكتراث فيها ، ثم أغلقتها وتوجهت عائدة إلى الطابق السفلي ..

وقفت إيلي في مكانها ترثي حالها ، ثم نظرت إلى المكتبة بنظرات أخيرة وهي دامعة العينين .. وســارت بخطوات بطيئة نحو باب المكتبة الزجاجي ، ومن ثم دلفت إلى خــارج المكتبة ..

تورمت عيني إيلي من كثرة البكاء ، وانتفخ أنفها ، وظلت تسير هائمة على وجهها إلى أن وصلت إلى محطة القطــار .. ثم قامت بحجز تذكرة ذهاب بلا عودة عن تلك البلدة القاسية التي دمرت أحلامها ، وقضت على مشاعرها ....

لم تهتم إيلي بالمكان الذي ستفر إليه من عذاب الحب ، فهي قد باتت ضائعة ، محطمة ، مدمرة ، فأي مكان غير هنا سيكون المأوى بالنسبة إليها ، فلعلها تستطيع أن تجمع حطام نفسها من جديد ....

جلست إيلي على مقد الانتظار الخشبي ، ووضعت إلى جوارها حقيبة سفرها ، وأسندت من أسفلها تذكرة القطار ، وظلت تنظر أمامها وهي شاردة في ذكرياتها المريرة مع رائد ..

.....

شعر رائد بالاحباط لأن إيلي لم تأتْ كما وعدته ، فســـار عائداً إلى غرفة أعضاء هيئة التدريس ليشكو إلى جينا غياب إيلي ..

ولكنه تفاجيء بأنها قد عادت إلى هيئتها الأولى ، وارتدت ملابسها الفاضحة ، بل ما أثار حنقه بحق هو أنها قد اقتربت منه ، وداعبت أنفه بطرف إصبعها ، ثم تركته واتجهت إلى مكتبه ، وجلست على سطحه بطريقة مثيرة وواضعة لساقها فوق الأخرى، ثم ابتسمت له بتشفي ، وعلى وجهها نظرات ساخطة ، فتعجب هو من حالها و..

-رائد متسائلاً باستغراب ، وبنظرات حائرة : لماذا أنتي هكذا ؟

-جينا بنبرة باردة ، ونظرات قاسية : لأني اليوم قد ظفرت بك ، فأصبحت لي وحدي

-رائد وهو يعقد حاجبيه في عدم فهم : ماذا ؟

سردت جينا بكل برود خطتها الشيطانية الماكرة والتي نجحت في الإيقاع بينه وبين من أحب ، فضيق رائد عينيه في غضب جلي ، واحتقن وجهه بالدمـــاء ، بينما تابعت جينا حديثها بـ ..

-جينا بفتور مستفز : لقد كان جزئي المفضل حينما رأتني تلك البلهاء وأنا في أحضانك ، فظنت أنك تعرض علي الزواج

لم يتحمل رائد أن يسمع صوتها اللعين أكثر من هذا ، فقد أدرك تواً أن من ظن أنها رفيقته ، وأنها تغيرت من أجله ليست إلا امرأة لعوب بحق ، فســـار بخطوات غاضبة في اتجاهها ، ثم رفع يده عالياً في الهواء ، وهوى بها على وجنتها ليصفعها بقوة وهو يصرخ بـ ...

-رائد وهو يهدر بعنف : ما أقبحك ! انتِ حقاً شيطانة لعينة

تأوهت جينا من الآلم ، ووضعت يدها على وجنتها تتحسها ، في حين تركها رائد وركض مسرعاً خـــارج الغرفة وهو يسبها ويلعن غبائه الذي جعله يثق بها يوماً ..

ركض رائد بسرعة رهيبة - و كـــأن وحشاً مفترساً يحاول اللحاق به وإلتهامه - حتى وصل إلى الطريق العام ، ثم وقف في منتصفه ينتظر قدوم أي سيارة ليوقفها ، وبالفعل لمح سيارة آجرة قادمة من على بعد ، فأشار لسائقها بكلا ذراعيه في الهواء لكي يُوقفه ...

.....

أوقف رائد سيارة أجرة وطلب من السائق أن يقله إلى مكتبة " كتاب الحب " بأقصى سرعة ، فامتثل السائق لطلبه خاصة بعد أن أعطاه رائد مالاً كثيراً ..

بعد دقائق عديدة وصل السائق إلى أول الطريق المؤدي إلى المكتبة ، فترجل رائد من السيارة ، وركض على ذلك الطريق الطيني الممهد بخطوات سريعة ، ولم يهتم ببنطاله الذي اتسخ من الطين المبتل بفعل الأمطار ، ولا بالسائق الذي ظل ينادي عليه كي يأخذ باقي الأجرة ، فقد كان شاغله الأكبر هو الوصول إلى حبيبته الوحيدة ..

قفز رائد على الدرجات الخشبية ، ثم دفع باب المكتبة الزجاجي بكتفه بقوة ، ودلف إلى الداخل وهو يصيح عالياً بإسم محبوبته ..

لم يجد رائد أي إجابة ، فظن أن إيلي تمكث بغرفتها في الطابق العلوي ، فتوجه ناحية الدرج الخلفي ، وركض صعوداً عليه ، ثم بحث عن إيلي في غرفتها ، ولكنها لم تكن متواجدة

وضع رائد كلتا يديه على رأسه ، وظل يفركها في توتر شديد .. ثم استدار رائد برأسه ناحية خزانة الملابس ليجدها مفتوحة ، وشبه خاوية من الثياب ، فإنقبض قلبه أكثر ، وتسارعت أنفاسه و...

-رائد بنبرة مذعورة ، ونظرات مضطربة : لا يمكن أن تتركني إيلي وترحل ، لا يمكن ..!!

دفع رائد باب الخزانة بيده بعنف ، ثم ركض خـــارج الغرفة ، ومن ثم قفز على الدرج إلى أن وصل إلى الطابق السفلي ، فلمح مفكرة ما موضوعة على المكتب المجاور للدرج ، فمد يده ناحيتها ليمسك بها ، ثم فتحها ، وقرأ ما بها على عجالة ، إلى أن توقف عند خاطرة اعتراف إيلي بحبها له ، وخاطرة رحيلها التي مازالت مبتلة بأثار دموعها ...

تنفس رائد بصعوبة ، وشعر أنه على وشك خســـارة من عشقته وعشقها ما لم يصل إليها في الوقت المناسب ...

أمسك رائد بالمفكرة في يده ، ثم ركض سريعاً إلى خـــارج المكتبة ، ولمح السائق وهو يقف إلى جوار سيارته منتظراً عودته على أول الطريق، فصرخ به عالياً أن يدير محرك السيارة ، ويقودها باقصى سرعة حتى يوصله إلى محطة القطار قبل فوات الآوان ..

.....

صدحت صوت صافرة وصــول القطار في المحطة ، فانتبهت لها إيلي ، وكفكفت دموعها بأنامل يدها ، ثم نهضت عن مقعد الانتظار الخشبي ، وأمسكت بحقيبتها وقبضت عليها بشدة ، وانتظرت أن يتوقف القطار تماماً حتى تصعد على متنه ..

في تلك الأثناء ، وصلت سيارة الأجرة إلى محطة القطار ، فترجل منها رائد وركض سريعاً في اتجاه رصيف المحطة ..

ظل رائد يدعو الله في نفسه ألا يكون قد تأخر في الوصول ، تسارعت أنفاس رائد وهو يتخيل أن إيلي قد تركته ورحلت إلى الأبد دون أن يعرف وجهتها ..

ســارت إيلي بخطوات بطيئة منكسرة ناحية باب عربة القطــار ، ثم تنهدت في مرارة وهي تمد يدها لتمسك بذلك المقبض المعدني لكي تتمكن من الصعود على متن العربة ، وقبل أن تدلف إيلي تماماً إلى داخل العربة ، رمقت الرصيف ومن عليه بنظرات حزينة وأخيرة ، ثم أطرقت رأسها ، وســارت إلى داخل العربة لتبحث عن مقعدها ، وتجلس عليه ، ولكنها تذكرت أنها قد تركت تذكرتها على مقعد الانتظار الموجود على رصيف المحطة ، فإنتفضت فزعة في مكانها ، وتركت حقيبتها على متن القطار ، ثم ركضت بخطوات متعجلة إلى خارجه لكي تحضر تذكرتها ...

وصـــل رائد إلى رصيف المحطة ، وظل يجوب ببصره بين أوجه الجميع باحثاً عن حبيبته بينهم ، ولكنه لم يجدها ، فظن أنه قد تأخر ، ولم يلحق بها .. فأدمعت عيناه ، وبدأ ينتحب ودفن وجهه بين راحتي يده .. ولكنه توقف عن النحيب حينما سمع صوتها العذب والمألوف يأتي من خلفه و...

-إيلي بصوت منزعج : يا الله ، لقد تركتها هنا ، أين اختفت ؟

استدار رائد بجسده ببطء ، ليجد إيلي منحنية بجسدها قليلاً للأسفل ، ومستندة بقبضة يدها على ذارع المقعد الخشبي ، وتبحث بعينيها عن شيء ما على الأرضية الصلبة ، فإعتلى وجهه ابتسامة سعادة ، وأشرقت عيناه من جديد ، ولمعت ببريق الحب ، ثم ســار بخطوات متمهلة إلى أن وقف خلفها ، و...

-رائد بنبرة حانية : يا ربِ قلبي لم يعد كافياً ، لأن من أحبها تعادل الدنيا ، فضع بصدري واحداً غيره ، يكون في مساحة الدنيا

اعتدلت إيلي في وقفتها ، وتسمرت في مكانها ، وظنت أنها تتوهم ما تسمعه ، ثم التفتت بجسدها للخلف ، فوجدت رائد أمامها ليس بينهما سوى خطوة واحدة ، وينظر إليها بنظرات عاشقة ، ففغرت شفتيها في صدمة ، واتسعت عينيها الحمراوتين في ذهول ، ولكن لم يتركها رائد لإندهاشها كثيراً ، حيث مد ذراعيه فجــأة ناحيتها ، وأحاطها من خصرها ، وجذبها بحب إلى صدره ، ثم انحنى برأسه على رأسه ، وأطبق على شفتيها بشفتيه ، ونهل منهما قبلة حــارة مطولة بثت أشواقه وحبه الجارف إليها فيها ، و..

-رائد بصوت رخيم وعذب : أحبك يا عميقة العينين ..!

استسلمت إيلي لحبها الوحيد ، ولم تقاومه أو تعاتبه حتى على ما رأته من قبل في قاعة الدراسة ، و...

-إيلي بنبرة متلعثمة : مـــ... ماذا ؟

أعـــاد رائد تقبيل حبيبته مجدداً بشغف أكبر ، وبحرارة أشد ، ثم أبعد شفتيه عنها ، لينظر إلى عينيها بنظرات حالمة و...

-رائد متابعاً بنبرة عاشقة ، ونظرات والعة : حبك مثل الموت والولادة ، صعب بأن يعاد مرتين ..

-إيلي فاغرة شفتيها : هـــه ..

أرخى رائد أحد ذراعيه عن خصر حبيبته ، ثم مد يده وأمسك بكف يدها وخلل أصابعه في أصابعها ، ثم نظر إليها بعينية اللامعة من بريق الحب و.....

-رائد مكملاً بنفس النبرة العاشقة والدافئة : عدي على أصابع اليدين ما يأتي ، فأولاً حبيبتي أنتِ وثانياً حبيبتي أنِت ، وثامناً وتاسعاً وعاشراً حبيبتي أنتِ ..!

ابتسمت إيلي في خجل ، وتوردت وجنتيها في حياء شديد ، وشعرت بأنها تطير فوق السحاب ، وأنه لم يعد هناك بُداً من الجدال أو العتاب ، ثم نظرت في عيني رائد بنظرات رومانسية و..

-إيلي متسائلة بنعومة : منذ متى وأنت تقرأ قصائد نزار ؟

-رائد مبتسماً في عذوبة ، وبنظرات دافئة ومتفرسة : منذ أن أصبح للحب عنوان يُدعى " كتاب الحب " .....

تمت بحمد الله